الفصل الثالث

★ في المؤثرات التي تميل بالناس عن الحق.

الآيـــات

١ - ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ۖ فَاعْفُوا۟ وَاصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ اللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

(البقرة : ١٠٩)

٢ - ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَٰبَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ الْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا اخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَاللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

(البقرة : ٢١٣)

٣ - ﴿ كَيْفَ يَهْدِى اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ الْبَيِّنَٰتُ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ﴾

(آل عمران : ٨٦)

٤ - ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾

(المائدة : ٢٧)

٥ - ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾

(المائدة : ٤٨)

٦ - ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾

(المائدة : ٧٧)

٧ - ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾

(الانعام : ٥)

٨ - ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ

الظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ
أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا
كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾

(الانعام : ٩٣)

٩ - ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَٰلَةُ ۚ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا۟
الشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

(الاعراف : ٣٠)

١٠ - ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ
وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ
الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ
سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾

(الاعراف : ١٤٦)

١١ - ﴿ وَإِذْ قَالُوا۟ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ
فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَآءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

(الانفال : ٣٢)

١٢ - ﴿ لَقَدِ ابْتَغَوُا۟ الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ
جَآءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾

(التوبة : ٤٨)

١٣ - ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ

أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴾

(التوبة : ٦٢)

١٤ - ﴿ فَلَمَّا أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(يونس : ٢٣)

١٥ - ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾

(يونس : ٣٦)

١٦ - ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

(الرعد : ١٩)

١٧ - ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

(ابراهيم : ٢٢)

١٨ - ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴾

(الكهف : ٥٦)

١٩ - ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾

(الانبياء : ٢٤)

٢٠ - ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾

(المؤمنون : ٧٠)

٢١ - ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾

(المؤمنون : ٧١)

٢٢ - ﴿ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾

(النور : ٤٩)

٢٣ - ﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴾

(القصص : ٣٩)

٢٤ - ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾

(العنكبوت : ٦٨)

٢٥ - ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾

(ص : ٢٦)

٢٦ - ﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾

(غافر : ٧٥)

٢٧ - ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾

(فصلت : ١٥)

٢٨ - ﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾

(الزخرف : ٧٨)

٢٩ - ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾

(الجاثية : ٣٢)

٣٠ - ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾

(الاحقاف : ١٧)

٣١ - ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾

(الاحقاف : ٢٠)

٣٢ - ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴾

(محمد : ٣)

٣٣ - ﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾

(النجم : ٢٨)

٣٤ - ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾

(الحديد : ١٦)

٣٥ - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ

إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾

(الممتحنة : ١)

الحق . بين . واضح . ثابت . ينفع الناس . فإذا أعرض الناس عنه أو آثروا غيره فلعلة فى نفوسهم . ومن أنكر النور فلعمى فى بصيرته لا فى الحق المشرق المنير .

ومع الايات لنرى المؤثرات التى تميل بالناس عن الحق وتصرفهم عنه .

وفى إجمال لا يغنى عن تفصيل ترى المؤثرات جميعا تنتسب إلى الشر فليس فيها من خيرٍ أىّ خير :

﴿ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾

(الانفال : ٢٣)

فالحسد . والبغى . والظلم . والكبر والعناد . واتباع الهوى . والغلو . والاستهزاء بدين الله . والقول على الله بغير حق . واتباع الشيطان . وكراهة الحق . وإرضاء الناس فى سخط الله . واتباع الظن . والجهل وعدم العلم . والنفاق . وتكذيب الحق من أول وهلة دون تدبر أو نظر . والغرور بالحياة الدنيا . وسوء الظن بالله . وطول الأمد وقسوة القلب . واتخاذ أعداء الله أولياء توهما لتحقيق منفعة أو دفع مضره . واتباع الباطل والركون إلى أهله .

كل ذلك وغيره من الشرور والمفاسد والعلل التى تصرف الناس عن الحق وتبعدهم عن استحباب الهدى والرشاد .

١ ـ فالحسـد :

وهو داء نفسى وبيل ينبىء عن خبث وشر . يصرف صاحبه عن الحق ـ مع معرفته به ـ ويسوقه إلى الباطل مع إدراكه لسوء مغبته وقع فيه إبليس من قبل كما وقع فيه كثير من أهل الكتاب حين جاءهم الحق :

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾

(البقرة : ١٠٩)

لم يكن اليهود يجهلون نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ـ وهو حق ـ بل كانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به حسدا من عند أنفسهم .

والحسـد : هو بغض نعمة الله على المحسود وتمنى زوالها .

وهو يحمل فى طياته سوء ظن بالله وسخط على ما قضاه ـ **﴿ أهم يقسمون رحمة ربك ﴾** . **﴿ أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ﴾** . **﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾** .

وهل كانت جريمة ابن آدم إلا حسدا على أخيه إذْ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبـل من الآخر ؟ تقبل من أحدهما لتقواه ولم يتقبل من الآخر لعدوانه وفجوره . فحسد أخاه على فضل ربه وقتله فأصبح من الخاسرين .

٢ ـ والبغـــى :

صارف عن الحق مفض الى الباطل يقود صاحبه الى الدمار والخسران . .

جاء فى لسان العرب ، البغى : التعدى . وبغى الرجل علينا بغيا : عدل عن الحق واستطال . الفراء فى قوله تعالى : **﴿ قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها**

وما بطن والإثم والبغى بغير الحق ﴾. قال : البغى : الاستطالة على الناس . وقال الأزهرى : معناه : الكبر ، والبغى : الظلم والفساد . وأصل البغى مجاوزة الحـد .

وبغى الـوالى : ظلم . وكل مجاوزة وإفراط على المقدار الذى هو حد الشىء بغى . وقال اللحيانى : بغى على أخيه بغيا حسده . والبغى : أصله الحسد . ثم سمى الظلم بغيا لأن الحاسد يظلم المحسود جُهْدَهُ إرَاغَةَ زَوَالِ نعمةِ الله عليه عنه. وبغى بغيا : كذب[1] .

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ ﴾

(البقرة : ٢١٣)

والبغى ـ وهـو التعـدى بالبـاطل ـ يبعد الناس عن الحق ويوقع الاضطراب فى الأرض ويشيع الفساد .

﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾

(الشورى : ٢٧)

وقد حَرَّم الله البغى بغير الحق[2] لما فيه من اعتداء وإفساد :

---

(١) من لسان العرب.

(٢) قال الراغب «والبغى على حزبين: أحدهما محمود وهو تجاوز العدل إلى الإحسان والفرض إلى التطوع. والثانى مذموم وهو تجاوز الحق إلى الباطل أو تجاوزه إلى الشبه. . . ولأن البغى قد يكون محمودا ومذموما قال تعالى: (إنما السبيل على الـذين يظلمون الناس ويبغون فى الأرض بغير الحق) فخص العقوبة ببغيه بغير الحق. وأبغيتك أعنتك على طلبه، وبغى الجراح تجاوز الحد فى فساده وبغت المرأة بغاء اذا فجرت وذلك لتجاوزها إلى ما ليس لها. قال عز وجل: (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن تحصنا) وبغت السماء تجاوزت فى المطر حد المحتاج

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾

(الاعراف : ٣٣)

والبغى ـ بعد هدى وبيان وتحذير وإعذار ـ دليل على خبث النفس وفسادها وإيثارها للباطل : ﴿ **وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم** ﴾.

﴿ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾

(البقرة : ٩٠)

هذا ما وقع فيه أهل الكتاب من اليهود حسدوا نبى الله صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله من فضله وكفروا بما أنزل فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين .

والحسد أصل البغى الذى صرفهم عن الحق وقادهم إلى عداوته والتنكر له من بعد علم ومعرفة . والإسلام هو دين الحق الذى بعث الله به الرسل جميعا وما تنكر له من تنكر أو كفر به من كفر إلا وكان البغى باعثه والباطل سببه :

﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ

إليه . وبغى : تكبر وذلك لتجاوزه منزلته إلى ما ليس له . ويستعمل ذلك فى أى أمر كان . قال تعالى : «ويبغون فى الأرض بغير الحق» . وقال تعالى «إنما بغيكم على أنفسكم» ، «وبغى عليه لينصرنه الله» «ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم» . وقال : «فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى» . فالبغى فى اكثر المواضع مذموم .

(المفردات : للراغب) .

﴿ يَكْفُرُ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾

(آل عمران : ١٩)

﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴾

(الشورى : ١٤)

﴿ وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

(الجاثية : ١٧)

وهكذا نرى البغى بكل معانيه قد قادهم الى الباطل وصرفهم عن الحق وجعلهم دعاة مفسدين بعد أن كان منهم بنعمة الله هداة متقون .

هكذا يفعل البغى بأهله ينسيهم شكر ربهم ويقودهم إلى الجحود والكفران وكم من ناس يحاط بهم فيلجأون إلى الله مخلصين يدعونه أن ينجيهم وأن يأخذ بأيديهم . فإذا ما تحققت لهم النجاة رأيت منهم جحودا ونكرانا . وبغيا ونسياناً .

﴿ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝٢٢ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(يونس : ٢٢ ، ٢٣)

٣ - والظلـــم :

بغى يبعد صاحبه عن هداية الله . وشرك يحقق سخطه ومقته . إن هو أصر ومات عليه ولم يتب منه :

﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

(آل عمران : ٨٦)

يقول ابن كثير فى قوله تعالى : ﴿ **كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات** ﴾ . أى قامت عليهم الحجج والبراهين على صدق ما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وسلم ووضح لهم الأمر ثم ارتدوا إلى ظلمة الشرك ، فكيف يستحق هؤلاء الهداية بعد ما تلبسوا به من العماية ؟

ولهذا قال : ﴿ **والله لا يهدى القوم الظالمين** ﴾ . ثم قال تعالى : ﴿ **أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين** ﴾ أى يلعنهم الله ويلعنهم خلقه ﴿ **خالدين فيها** ﴾ أى فى اللعنة ﴿ **لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون** ﴾ . أى لا يفتر عنهم العذاب ولا يخفف عنهم ساعة واحدة . ثم قال : ﴿ **إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم** ﴾ . **وهذا من لطفه وبره ورأفته ورحمته وعائدته على خلقه أن من «تاب إليه تاب عليه»** .

وصدق الله العظيم :

﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

(المائدة : ٣٩)

روى ابن جرير عن ابن عباس قال : «كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق

بالشرك ثم ندم فأرسل إلى قومه أن سلوا لى رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لى من توبة ؟ فنزلت : ﴿ **كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم** ﴾ . إلى قوله : ﴿ **فإن الله غفور رحيم** ﴾ . فأرسل اليه قومه فأسلم .

٤ - والكبر : من البغـى :

لتجـاوز صاحبه منزلته إلى ماليس له وهو يبعد صاحبه عن الحق ويودى به إلى متاهات الباطل وظلمه وظلامه . ولا تسل عما يحيق بأهل الكبر من عذاب وهوان . والكبر يقود صاحبه إلى الكذب والافتراء وسوء الادعاء . وهو يلبس ثوب زور يزعم لنفسه ماليس له وينتقص ما فى الناس من خير. معجب بنفسه منتقص لغيره .

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾

(الانعام : ٩٣)

«وأعظم التكبر ، التكبر على الله بالامتناع من قبول الحق والإذعان له بالعبادة[1]» .

﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾

(الاعراف : ١٤٦)

(١) مفردات الراغب.

لقد صُرفوا عن قبول الحق لتكبرهم فى الأرض بغير الحق . ليس فيهم من صفات تُكْبِرهُم عند الناس . وإنما هم يتفعلون ويتصنعون ويترفعون وهم ساقطون . ﴿ **وإن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا** ﴾ .

وهؤلاء لا تنفعهم الآيات ولا تفيدهم ﴿ **وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها** ﴾ .

ان الذى ترشحه صفاته لأن يكون بين الناس كبيرا غير الذى تفرضه صفاقته على الناس بأن يتخذوه كبيرا . ذاك له صفات صدق تعين الناس على الحق . وهو كبير بالحق لا بالباطل . وهذا يستكبر فى الأرض بغير الحق . وشتان ما بينهما . فما كان بالحق فمن هداية الله وفضله ورحمته . وما كان بغير الحق فمن هوى النفس ووسوسة الشياطين . وهؤلاء إن طلبوا الترفع على الناس فى الدنيا وأصروا على أن يكونوا أئمة لهم بالقهر أو الغلبة . فانهم سيكونون ائمة إلى النار يُقَادُون إليها أوَّلاً كما كانوا يَقُودُون :

﴿ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴾

(القصص : ٣٩ ـ ٤٢)

ذاك جزاؤهم عند ربهم . استكبار فى الأرض بغير الحق . يقابله فى الاخرة عذاب وهوان بالحق .

﴿ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ

تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾

(غافر ٧٥ ـ ٧٦)

﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴾

(الاحقاف : ٢٠)

ذاك هو العذاب . عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الأرض بغير الحق لقد بلغ الكبر والعناد بفريق من أهل الكفر أن قالوا :

﴿ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾

(الانفال : ٣٢)

فهل يستحق هؤلاء بحمقهم إلا أن يكونوا مع الحجارة وقودًا للنار . لقد أجاد الزمخشرى فى تعقيبه على هذه الاية حيث قال : «وهذا أسلوب من الجحود بليغ . : يعنى إن كان هذا القرآن هو الحق فعاقبنا على إنكاره بالسجيل كما فعلت بأصحاب الفيل أو بعذاب آخر . ومراده ـ أى القائل ـ نفى كونه حقا وإذا انتفى كونه حقا لم يستوجب منكره عذابا . فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد أنه ليس بحق كتعليقه بالمحال فى قولك : إن كان الباطل حقا فأمطر علينا حجارة . وقوله ـ هو الحق ـ تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق » انتهى .

ذاك ما يؤدى اليه الكبر من عناد وحمق وجحود وإنكار . وعقاب هؤلاء صرف عن آيات الله وبعد عن الحق لجحودهم له واستهزائهم به وترفعهم عن قبوله والانقياد له .

٥ - واتبـاع الهـوى :

من المؤثرات التى تميل بالناس عن الحق وتصرفهم عنه . وأهواء الناس متضاربة متناقضة فيها اختلاف وفيها فساد . ﴿ **ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموٰات والأرض ومن فيهن** ﴾ ومن اتبع هواه ضل . ومن اتبع أهواء الناس فتن عن الحق واستدرج للباطل . ﴿ **ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق** ﴾ .

﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾

(المائدة : ٤٩)

﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾

(ص : ٢٦)

٦ - والغلـــو :

مخرج عن الاعتدال موقع فى الضلال . مبعد عن الحق . مضل عن سواء السبيل . والغلو : تجاوز الحد . والله جل وعلا قد جعل للناس معالم وحدًّ لهم حدودا . فمن جاوزها فقد غلا . ومن خالفها فقد اعتدى . وما بينه الله وأرسل به رسوله هو الحق . وهو جدير أن يتبع . ومن رغب عنه فقد غلا واعتدى . والغلو قد يقع فى الاعتقاد وهو مدمر لأهله وقد يقع فى الأعمال وهو مبطل ومفسد ومضل . وهو فى جميع الأمور مذموم ومنهي عنه : «**إياكم والغلو. فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**» . وهو من أقوى المؤثرات في البعد عن الحق والوقوع في الباطل وما ضل من ضل فيمن كان قبلنا إلا بالغلو أهلكهم وأبعدهم عن الحق فى القول والفعل والاعتقاد . ﴿ **يا أهل الكتاب لا تغلو فى دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق** ﴾ . والغلو فى جميع حالاته ابتداع واتباع للأهواء ورغبة عن الحنيفية السمحاء ومخالفة

للعدل وخروج عن الاسوة والقدوة « فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴾

(المائدة : ٧٧)

٧ - والاستهزاء بدين الله :

دلالة كفر وتكذيب . والإيمان بالحق والسخرية منه نقيضان لا يجتمعان . وضدان لا يلتقيان . من اقترب من أحدهما بعد عن الاخر . ومن أظهر الإيمان بالحق ثم سخر منه كان من اولئك الذين قال الله فيهم :

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾

(البقرة : ١٤)

أى نتخذ من هؤلاء الذين نصانعهم باظهار الإيمان هزؤا وسخرية .

والاستهزاء دأب الكافرين مع كل نبى ورسول .

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾

(الحجر : ١٠ ، ١١)

﴿ وَكَم أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾

(الزخرف : ٦ ، ٧)

﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾

(الانعام : ١٠)

وعقاب المستهزىء من جنس عمله :

﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾

(البقرة : ١٥)

واختلف المفسرون فى هذا الاستهزاء فقال جمهور العلماء هى تسمية العقوبة باسم الذنب . والعرب تستعمل ذلك كثيرا، ومنه قول الشاعر :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقال قوم : إن الله تعالى يفعل بهم أفعالا هى فى تأمل البشر هزؤ حسبما يروى أن النار تجمد كما تجمد الاهالة[1] فيمشون عليها ويظنونها منجاة فتخسف بهم ، وما يروى أن أبواب النار تفتح لهم فيذهبون إلى الخروج ، نحا هذا المنحى ابن عباس والحسن .

وقال قَوْمٌ : استهزاؤه بهم هو استدراجهم من حيث لا يعلمون . وذلك أنهم بِدُرُور[2] نعم الله الدنيوية عليهم يظنون أنه راض عنهم وهو تعالى قد حتم عذابهم ، فهذا على تأمل البشر كأنه استهزاء[3] .

ورجح ابن جرير هذا الوجه الاخير وقال «لان المكر والخداع والسخرية على وجه اللعب والعبث منتف عن الله عز وجل بالإجماع . وأما على وجه الانتقام والمقابلة بالعدل والمجازاة فلا يمتنع ذلك . ثم قال وبنحو ما قلنا روى الخبر عن ابن عباس فى قوله تعالى : ﴿ الله يستهزىء بهم ﴾ قال يسخر بهم للنقمة منهم » .

(١) . الاهالة : ما اذيب من الالية والشحم . وقيل الدسم الجامد .

(٢) مصدر در اللبن ونحوه : كثر .

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية . تحقيق المجلس العلمى . بفاس .

ومـا أتعس أهل النفاق ـ وهم يستهزءون ويسخرون فى مجالسهم ويبدون ذلك لشياطينهم إذا خلوا بهم وظنوا أن لا أحد يسمعهم ، وما دروا أن الله مخرج ما يحذرون .

﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ ﴾

(التوبة : ٦٤ ـ ٦٦)

إن أهل الكفر والنفاق لا يعبأون بما يفعلون وهم يسخرون ويستهزءون غير مبالين بما يلقون من عقاب وجزاء . ان كفرهم بالله حملهم على ارتكاب جرائمهم وسوء ظنهم بالله قادهم إلى الاستهـزاء فى خفـاء . ولـو كان فيهم بقية من خير أو حياء لتصدعت نفوسهم وهم يسمعون .

﴿ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾

(الزمر : ٤٧ ، ٤٨)

﴿ فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴾

(الانعام : ٥)

والرسل الكرام صلوات الله عليهم يبلغون ويبشرون وينذرون . وأهل الكفر سادرون فى غيهم يجادلون ويستهزءون ويكذبون بالحق ويتخذون آيات الله وما أنذروا هزوا . :

﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ۖ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴾

(الكهف : ٥٦)

والعقاب حرمان من الهداية التى سخروا منها وخَتْمٌ على القلوب وَوَقْرٌ فى الأذان يحقق لهم الحرمان والخسران :

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾

(الكهف : ٥٧)

٨ - والقول على الله غير الحق :

يحول بين قائله وبين الحق ويقوده إلى هوان وعذاب ويهوى به فى جهنم :

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ ۖ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾

(الانعام : ٩٣)

ويا لفجيعة هؤلاء الذين ينسبون إلى الله ولدا أو شريكا وهم يواجهون الجزاء الحق على ما نسبوه إلى الله بغير حق . والافتراء على الله والقول عليه بغير حق يقع من أهل الشرك فى العقيدة والحلال والحرام : ﴿ **يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون** ﴾

٩ - واتباع الشيطان :

«**وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ**» ويقود الى الضلال ويبعد عن الحق .

والشيطان عدو للإنسان نعوذ بالله من شياطين الإنس والجن وهم يسلكون بضحاياهم ومن يسولون لهم مسلك الشر ويوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا . نعوذ بالله منهم وممن تبعهم .

وكم حذر القرآن من عداوة الشيطان ونبه إلى ما يدعو اليه :

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾

(فاطر : ٦)

﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴾

(النساء : ٣٨)

ومن اتخذ الشيطان وليا حرم الهداية وحقت عليه الضلالة .

﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

(الاعراف : ٣٠)

والشيطان اذا استحوذ على إنسان أنساه ذكر ربه وقاده إلى الخسران وتبرأ منه :

﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾

(المجادلة : ١٩)

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

(الحشر : ١٦ ، ١٧)

وكل ما أبعد عن الحق للشيطان فيه نصيب :

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ ﴾

(ابراهيم : ٢٢)

وَسُبُلُ الشيطان هى سبل الباطل وليس منها سبيل يهدى إلى الحق . والشيطان يستزل الإنسان بكسبه ويستحوذ عليه بسعيه وعمله .

﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

(النساء : ٨٣)

﴿ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ

﴿ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴾

(النساء : ١١٩)

وذكر الله واتباع الحق حمى للإنسان من الشيطان :

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾

(الزخرف : ٣٦ ، ٣٧)

﴿ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾

(الاعراف : ٢٧)

١٠ ـ وكراهة الحق :

تجفو بصاحبها عن اتباع الحق وتعميه عن رؤيته وهو قريب منه . والذين يكرهون الحق نسيطر عليهم أهواؤهم وشهواتهم ولا يرون الحق إلا فى منافعهم العاجلة ومكاسبهم الباطلة . ﴿ **وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين** ﴾ . هم لم يجيئوا اليه رغبة فيه وحبا له فى جميع الأحوال وإنما جاءوا إليه لأن لهم فيه منفعة عاجلة فإذا كان الحق عليهم رأوه حملا ثقيلا . فهربوا منه وتنكروا له . هم يكرهون الحق إذا كان حكمه عليهم ويبدون الإذعان له إذا كان حكمه لهم . فهم ليسوا طلاب حق أو أهل حق . بل هم عبيد منفعة يقبلون عليها إن بدت وينقلبون على وجوههم إن أبطأت . وإن ظهر الحق أو انتصر ـ كرهوا ذلك . لأن انتصار الحق يقضى على مآربهم ويكشف مخبآتهم ولا يريدونه منتصرا وإنما يحبون له وللمنتسبين إليه الهزيمة والفشل وذهاب الريح :

﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا

لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾

(التوبة : ٤٧ ، ٤٨)

وكرههم للحق يدعوهم إلى النيل من أهله والتشهير بهم والتآمر عليهم . وهكذا يفعل الكفر وأهل النفاق :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾

(المؤمنون : ٧٠)

﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾

(الزخرف : ٧٨ ، ٨٠)

١١ - وارضاء الناس :

فى سخط الله . صارف عن الحق . مبعد عنه :

﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾

(التوبة : ٦٢)

والناس لو اجتمعوا على أن ينفعوا أحَدًا بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له وإن اجتمعوا على أن يضروه. لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه. فالساعي لإرضائهم في سخط الله قد خاب سعيه وبطل عمله .

والإيمان بالحق يدعو إلى الثبات عليه . وإرضاء الناس فى سخط الله ينافى الثبات

على الحق والتمسك به والصبر عليه . ومن استخفه أمر الناس وما هم عليه قد يسعى لمجاملتهم والركون إليهم . ومن ركن إلى ظالم احترق معه ومن آثر رضا الناس باء بسخط الله . والله هو الحق وهو الحى الذى لا يموت . . والجن والإنس يموتون . فهل يحسن بالعاقل أن يفر إلا إليه وأن يتوكل إلا عليه :

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾

(الفرقان : ٥٨)

﴿ فَذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴾

(يونس : ٣٢)

١٢ - واتباع الظن :

لا يهدى إلى الحق فإن سبيل الحق . علم وبرهان . وهو لا يدرك إلا بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم . والظن منه يقين وشك .

وفى التنزيل العزيز : ﴿ **إنى ظننت أنى ملاق حسابيه** ﴾ أى علمت .

وفى الحديث : إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث : أراد الشك يعرض لك فى الشىء فتحققه وتحكم به ، وقيل أراد إياكم وسوء الظن وتحقيقه دون مبادىء الظنون التي لا تملك وخواطر القلوب التي لا تدفع . ومنه الحديث وإذا ظننت فلا تحقق»[1] .

وفى المفردات للراغب «الظن إسم لما يحصل عن أمارة ومتى قويت أدت إلى العلم ومتى ضعفت جدا لم يتجاوز حد التوهم .

---

(١) لسان العرب.

والظن فى كثير من الامور مذموم . ولذلك ﴿ **وما يتبع أكثرهم إلاّ ظنا ـ إن الظن ـ وأنهم ظنوا كما ظننتم** ﴾.

﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴾

(يونس : ٣٦)

﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾

(النجم : ٢٨)

ذاك هو التوهم الذى لا يستند إلى أثارة من علم :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ۖ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾

(النجم : ٢٧ ، ٢٨)

ومن اتبع الظن عنى هذا النحو بعد عن الحق وضل السبيل .

وانما يطلب الحق بالعلم . والعلم يستند إلى البرهان والحجة وما كان من الغيب فسبيله الوحى : ﴿ **ولقد جاءهم من ربهم الهدى** ﴾. فلا مجال لوهم أو شك . ومن ظن أوشك فى أمر جاء به الوحى هلك وخسر وكذلك كان حال أهل الكفر حين خوطبوا بالبعث وهو حق :

﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾

(الجاثية : ٣٢)

﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾

(الانعام : ١١٦)

وكذلك حال أهل الشرك حيث كانوا :

﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾

(الانعام : ١٤٨)

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾

(يونس : ٦٦)

أرأيت ما يؤدى اليه اتباع الظن من بعد عن الحق المبين . إن سبيل الحق يحفظ الإنسان من الوهم والشك والقول بغير علم . ويعلى قيمته بالمعرفة التى تستند إلى البرهان والحجة وتنأى به عن التقليد بغير سند أودليل . وهذا ما يدعو اليه القرآن الكريم ويهدى اليه :

﴿ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَٰنٍ بِهَٰذَآ ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(يونس : ٦٨)

﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾

(المؤمنون : ١١٧)

والمتبعون للظن ليس لهم من سلطان أو برهان فلا يهدون بالحق ولا به يعدلون .

١٣ - والجهل وعدم العلم :

تيه للإنسان وعمى يبعده عن رؤية الحق وإدراكه كما يجب أن يكون .

﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

(الرعد : ١٩)

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾

(الانبياء : ٢٤)

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(الدخان : ٣٨ ، ٣٩)

أرأيت أن الجهل وفقدان العلم أصل كل شر وفساد وعدم التمييز بين ما هو حق وما هو باطل . ومن هنا يكون الإعراض عن الحق ويكون الظن بأن الله خلق السموات والارض باطلا . ﴿ **ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار** ﴾ . هؤلاء قد يندفعون أو يدفعون إلى تكذيب الحق من أول وهلة دون تدبر أو ترو. وهم فى عمى عن رؤيته وإعراض عن التفكير فيه . ويركنون إلى دنياهم ويطمئنون إليها ولا يرون أنفسهم إلا بها .

١٤ ـ والغرور بالحياة الدنيا :

من الأسباب الصارفة عن الحق المبعدة عنه . وكم من ناس زينت لهم الحياة الدنيا وفرحوا بها واستحبوها على الآخرة فباعوا آخرتهم بدنياهم :

﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾

(آل عمران : ١٨٥)

وكم من بغى وقع من أجلها وحق ضيع فيها :

﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

(يونس : ٢٣)

ومن قبل وقد أحيط بهم ﴿ **دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين** ﴾ . وما صرفهم عن الشكر ودعاهم إلى البغى فى الأرض بغير الحق إلا استحبابهم الحياة الدنيا على الاخرة وهم يريدونها ولا يريدون سواها . ومن يرد الحياة الدنيا يفتن بالمظهر ويؤخذ بالزينة ويفصل عن حقيقة الأشياء وعاقبتها .

﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ

(القصص : ٧٩)

وكم من ناس ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

وقد بين الله للناس حقيقة دنياهم وناداهم ألا يجحدوا الحق وينكروه اغترارا بدنياهم ونسيانا لأخراهم :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ

عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾

(لقمان : ٣٣)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾

(فاطر : ٥)

إن متاع الحياة الدنيا أبعد ناسا عن الحق وأنساهم ذكر ربهم فبدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار :

﴿ بَلْ مَتَّعْتُ هَـٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ۝٢٩ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴾

(الزخرف : ٢٩ ، ٣٠)

وكل من آثر الحق وآمن به لم يؤخذ بفتنة الحياة ومتاعها وزينتها فإن من فتن بها آثرها وضيع آخرته .

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾

(طه : ١٣١)

﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾

(الكهف : ٢٨)

ان الاستمساك بالحق والثبات عليه لا يكون مع إيثار الدنيا والركون إليها والرضا بها وإنما يتحقق بصدق اليقين بالآخرة. والإشفاق منها والرجاء فيها. ولا يستطيع أن يقتدي بأهل الحق ودعاة الصدق إلا من كان يرجو الله واليوم الآخر.

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

(الاحزاب: ٢١)

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾

(الممتحنة: ٦)

١٥ - وسوء الظن بالله :

يقود إلى الجحود بالآخرة وهى حق. ومن ساء ظنه بربه أنكر قدرته على البعث وحكمته فى الخلق وعلمه بما فى السموات والأرض وأفسد دنياه وضيع آخرته.

﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾

(الجاثية: ٣٢)

﴿ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾

(الاحقاف: ١٧)

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا

جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ
ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ
وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ
﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم
مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾

(فصلت: ١٩ ـ ٢٣)

١٦ ـ وطول الأمد وقسوة القلب:

تؤثر فى البعد عن الحق وقد تؤدى إلى الكفر والفسوق والعصيان. وأهل الايمان مطالبون أن يتعهدوا قلوبهم وأن يروضوها على الخشوع والخشية حتى تكون للحق لا للباطل وتلين لهم ولا تقسو عليهم:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ
عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

(الانفال: ٢)

﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ
جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ
إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن
يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾

(الزمر: ٢٣)

وأهل الكتاب من قبل طال عليهم الأمد فقست قلوبهم فلا تقبل موعظة ولا تلين

بوعد أو وعيد . فليحذر أهل الايمان أن يكونوا مثلهم وكتاب الله يتلىٰ عليهم وفيهم رسوله وقد حفظت سنته وبقيت شريعته .

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾

(الحديد : ١٦)

١٧ ـ واتخاذ أعداء الله أولياء :

ينهى القرآن عنه لأنهم كفروا بالحق ومن كفر بالحقّ لا يكون عونا على القيام بالحق :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾

(الممتحنة : ١)

وكم من ناس اتخذوا أعداء الله أولياء فصاروا منهم .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

(المائدة : ٥١)

وناس كانوا على الحق استخفهم أهل الباطل فأطاعوهم فردوهم بعد إيمانهم كافرين :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم

﴿ مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾

(التوبة : ٢٣)

والمؤمن بالحق يتخذ من يتخذه عونا للحق وطلبا له :

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ۝٥٥ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾

(المائدة : ٥٥ ، ٥٦)

﴿ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾

(الجاثية : ١٩)

١٨ ـ واتباع الباطل والركون إلى أهله :

عداوة لله تبعد عن الهداية . وتورث الضلالة . وما ضل سعى ولا أُحبط عمل إلا بسبب اتباع الباطل . وما صلح عمل أو قبل سعى إلا باتباع الحق .

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴾

(محمد : ٣)

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾

(العنكبوت : ٥٢)

وبعد فان المؤثرات التى تميل بالناس عن الحق ـ وإن تعددت أو تداخلت ـ فإنها جميعا ظلم للنفس وظلمات يوم القيامة ـ ﴿**وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾ .

انها ذنوب وآثام تدمر أصحابها وتسوقهم إلى أسوأ مصير.

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ (النحل: ٦١)

وكم من نداء للعباد أن يفيئوا إلى رشدهم وأن يتبعوا ما أنزل إليهم من ربهم من قبل أن يأتيهم العذاب. كم من نداء يحذرهم من عواقب التكذيب بالحق والإعراض عنه. وما أنزل الله الحق إلا لمصلحتهم فى دنياهم وآخرتهم والله غنى عنهم وعن استقامتهم. **«وإنما هى الأعمال يحصيها عليهم فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»**.

﴿ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ

خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣

(الزمر: ٥٤ ـ ٦٣)

اللهم أرنا الحق حقا . وارزقنا اتباعه . وأرنا الباطل باطلا . وارزقنا اجتنابه . واجعلنا من الذين أنعمت عليهم بهدايتك وفضلك ورحمتك . وأنت حسبنا ونعم الوكيل .

obeikandl.com